فاقتنعت اثرها طمعاً في الاهتداء الى مناجمهم . فلما احس ربان السفينة الفينيقية بذلك عدل عن طريقه الى البر وابطل السفر فرجعت السفينة الرومانية خائبة . ولما علمت الحكومة الفينيقية بما جرى اجازت السفينة الفينيقية بقيمة ثمن البضاعة التي كانت سائرة في طلبها وذلك لانها تحملت الضرر رغبةً في حصر منافع التصدير في بني وطنها

على انه لا ينكر ان فضل الفينيقيين على اوربا اشهر من نار على عَلَم فهم الذين ادخلوا معارف المصريين والبابليين والاشوريين الى بلاد اليونان وغيرها من بلاد اوربا وهم الذين علموهم الصناعة والملاحة والتجارة وهم الذين ابلغوا تمدن الشرق الى الغرب وهم الذين فتحوا سبل الاتصال بينها حتى ابصر اليونان وغيرهم طرق النجاح فنضوا عنهم غبار الكسل وشمروا عن ساعد الجد وقام الدوريون منهم فطردوا الفينيقيين من جزائرهم وقام الملاحون الايونيون وسابقوهم الى عمودي هرقل وقام الايطاليون وحالوا في مرافئهم على حدود بلادهم وجوارها وشاغلهم الاشوريون في فينيقية وانزلوا بهم الويل والخراب . ولولا مدينتهم قرطاجنة في افريقية لاعدت اركان وجودهم منذ ذلك الزمان ولكن قرطاجنة افرجت عنهم بقهرها اليونان واذلالها سيسيليا وسردينيا وشمالي افريقية ودخولها اسبانيا . وبينما هي تأخذ بثار ادها وتحرز اكاليل الفخار لذويها حمل الاسكندر ذو القرنين على فينيقية وافتتح صور اشهر مدنها عنوةً واقتدارًا بعد ان حاصرها حصارًا طويلاً تشيب لطوله الولدان وباع الثنين الفًا من اهلها عبيدًا وقتل الوفًا وصلب مثلهم ممن بقي وسلب ثروة اغنى مدينة في الارض وغادر البلاد على آخر رمق فتولاها النزع زمانًا وما زالت تحتضر بين بؤس وشقاء حتى امتلكها ايدي الغرباء وكان ذلك آخر عهدها في العزة والمنعة والسؤدد والرئاسة

متف الغابرة ومتف الحاضرة

واذا نظرت الى البلاد رأيتها تشقى كما تشقى العبادُ وتسعدُ

مَنْ نظر الى الارض كجرم من اجرام السماء او بحث عن تكوُّن طبقاتها وتولُّد طوائف النبات والحيوان فيها اذهلته الدهور الطوال عن البحث في احوال الانسان ابن يومه الذي لم يعمّر الارض الاَّ منذ هنيهة من الدهر . ولكن اذا كان البحث في اجرام السماء وطبقات الارض يبهر البصر ويحيّر الفكر فالبحث عن احوال البشر في العصور الخوالي وما توالى عليهم من البؤس والنعيم وما ابقوهُ من آثارهم الدالة على مكانهم من القوة والعزة او الضعف والذلّة فهو

عبرةٌ وذكرى وفوائد جليلة حقيقة بالاعتبار وفكاهة ترتاح اليها النفس وتعدها من شهي الثمار

و بعدُ فقد اجمع اهل البحث على ان بلاد مصر من اكثر البلدان آثارًا واعجبها اخبارًا واسبقها الى الحضارة واتقنها لضروب العمارة . فكيفما اتجه الباحث فيها رأى آثار السلف تستوقف النعام الجافل وتستهم حتى البليد الجاهل . ومن اقدم ادهات مدنها ان لم تكن القدمى بينهنّ مدينة منف المعروفة باسم ممفس كرسي الفراعنة الاولين . وقد اتاح لنا الحظ ان نتقدنا اطلالها في هذه الايام وقرأنا على آثارها ما كتبهُ علماء البحث من الافرنج وما سبقهم اليهِ هيرودوتس شيخ المؤرخين وعبد اللطيف البغدادي الرحالة الشهير . فسار بنا العقل على اجنحة الخيال الى ايام الملوك الاولين الذين اختطوا هذه المدينة واقاموا فيها المباني الرفيعة والنائيل البديعة وارانا جدهم وسؤددهم وكيف ان الدهر ابا العجب اخنى عليهم بكلكلهِ فقوّض دعائم عزّهم ومحا رسوم مجدهم . فرأينا ان ننشئ في ذلك مقالة وجيزة نضمنها زبدة ما رأيناهُ في كتب المتقدمين والمتأخرين لعلّها تكون باعثًا لكثيرين من القراء على زيارة آثار هذه المدينة الشهيرة التي يقصدها السياح من اقاصي بلاد المغرب ونحن نتقاعد عن زيارتها وهي على بضعة اميال منا

النبذة الاولى . في منف الغابرة

بلاد مصر من احدث بلدان الدنيا جيولوجيًا اي من حيث تكوّن ارضها لانها مكونة من طين نهرها المبارك ولكنها من اقدم البلدان تاريخيًا . ويُستدلُّ مما اطّلع عليهِ اهل البحث والتنقيب من آثارها انها كانت في اول امرها وطنًا لطوائف متفرقة وقد بقي من آثار هذه الطوائف هيكل من المرمر بجانب ابي الهول في الجيزة حجارتهُ من مقالع اسوان الشهيرة وهي ضخمة جدًا ولكنهـــا محكمة الزوايا صقيلة السطوح كأنها خرجت بالامس من يد الصيقل الاَّ في بعض جهاتها حيث اثرت فيها رطوبة الهواء فأكلت سطحها . والظاهر ان هذا الهيكل كان في اول امرهِ مدفنًا لملوك هؤلاء الطوائف ثم طمرتهُ الرمال وعفت آثارهُ ولبث مطمورًا الى ان عثر عليهِ الملك خوفو الذي بنى الهرم الاكبر من اهرام الجيزة فظنّهُ هيكلاً للاله هورم خوتي اله ابي الهول . ومهما يكن من اصلهِ فلا شبهة في انهُ بُني قبل ان عرف اهل مصر صناعة النقش والكتابة وقبل ان عرفوا وضع الملاط بين الحجارة لان حجارتهُ ساذجة لا نقش عليها ولا شيء من الملاط بينها .

وبعد ذلك قام احد هولاء الملوك من مدينة تني (بمديرية جرجا حيث خرابة المدفونة) وامتدَّ في غزواتهِ وفتوحاتهِ شمالاً الى ان بلغ ابا الهول اذا كان ابو الهول منحوتًا قبل ايامهِ او الى ان بلغ الصخر الذي نحت منهُ فخلّد ذكراهُ النصراتهِ وعمد الى بناء مدينة تكون متوسطة

بين مصر السفلى ومصر العليا فاختار بقعة من الارض جنوبي ابي الهول وكان النيل غامرًا لها إما لان مجراهُ كلهِ كان هناك او لانهُ كان متفرعًا الى فرعين فرع غربي يجري بجانب الصحراء حيث قرية سنّارة الآن وفرع شرقي يجري في مجراهُ الحالي فبنى سدًّا عظيمًا الى الجنوب من قرية ميت رهينة وعلى نحو اثني عشر ميلاً منها فتحوَّل النيل كلهُ الى الفرع الشرقي وجفت الارض في ميت رهينة وحواليها فبنى فيها مدينة منف او منفس واسمها بلسان المصريين القدماء منوفر اي مكان الصلاح وتسمى ايضًا ارض الهرم وارض الحائط الابيض ومقام فتاه . هذا هو الملك مينا الذي روى هيرودوتس انهُ اول ملك ملك في مصر وجاءت الآثار المصرية مصدقة لما رواهُ هيرودوتس ولما اثبتهُ مينثو الكاهن بعدهُ . هذا هو الملك العظيم الذي ضم ممالك مصر المتفرقة تحت لواء واحد وملك ثنتاً وستين سنة فحسبى لهُ ان يوسع منف ويزيدها عمارة وبهجة . واختلف اهل البحث في الزمن الذي بنيت فيهِ فقال بعضهم انها بنيت قبل المسيح بخمسة آلاف وسبع مئة سنة وبعضهم انها بنيت قبلهُ بثلاثة آلاف وستماية وثلاث وعشرين سنة فقط وبعضهم انها بنيت بين هذين الطرفين على اقوال ثمانية والمختار منها عند كثيرين قول مريت الشهير الذي قال انها بنيت قبل المسيح بنحو خمسة آلاف سنة

ولم تبتدئ هذه المدينة بقرية صغيرة ثم نمت رويدًا رويدًا الى ان صارت مدينة كبيرة على توالي الازمان بل ظهرت الى الوجود دفعةً واحدةً مما يدلُّ على ان المصريين رقيت قدمهم في الحضارة قبل ذلك بقرون كثيرة والّا ما تسنى لهم ان يحوّلوا النهر عن مجراهُ ولا ان يبنوا مدينةً عظيمة دفعة واحدة . وكانت هذه المدينة تمتدُّ في ايام عزها من شاطئ النيل حيث قرية البدرشين الآن الى حدّ الصحراء حيث قرية سنارة مسافة ثلاثة اميال شرقًا وغربًا وزعم ان ديودورس المؤرخ يقول ان محيطها كان في ايامهِ مئة وخمسين ستاديا اي اكثر من خمسة عشر ميلاً فطولها من الجنوب الى الشمال كان نحو ستة اميال مع انها كانت في ايامهِ قد انحطت عن عظمتها الاولى وصارت الثانية في المملكة

وتعاقب عليها الملوك بعد مينا وزادوها عمارةً وزخرفةً ولبثت الى ايام الاسكندر اما الاولى في مصر واما الثانية لان بعض ملوك مصر جعلوا كرسيهم في طيبة (ثيبس) في الصعيد وابقوا في منف نائبًا ينوب عنهم . ولما جاءها الاسكندر احترم كهانها وعبد الثور ابيس الذي كان مقامهُ فيها . ولما مات جاء بطليموس يجثو اليها قبل ان دفنها في الاسكندرية . وكان البطالسة يتوّجون في هيكلها المعروف باسم السرابيوم ولبثت الى ما بعد التاريخ المسيحي الاولى في القطر المصري بعد الاسكندرية وبقيت هياكلها على عظمتها الى ايام ثيودوسيوس الذي خرّب هياكل الاوثان . ولما

جاء ما العرب في ايام الامام عُمَر كان بوحنا المقوقس ملك مصر يسكن فيها فحاربه عمرو بن العاص وتغلّب عليه وأخرب منف وبنى الفسطاط على الضفة الشرقية من النيل وجعلها مقرّ الملك ولم تزل كرسي مملكة الديار المصرية الى ان قام المعز من الخلفاء الفاطميين فاختطّ القاهرة الى شمالي الفسطاط في سنة تسع وخمسين وثلثمئة فرغب الناس فيها ونسوا الفسطاط وزهدوا فيه. وكل ذلك كان داعيًا لخراب منف ومحو آثارها لان حجارة الفسطاط والقاهرة جلبت من ابنيتها. ولما زارها العلّامة المحقق عبد اللطيف البغدادي في اواخر القرن الثاني عشر للميلاد كان لم يزل بها شيء كثير من الآثار. وكلام عبد اللطيف في هذا المعنى وافٍ بالمراد بالغ حدّ الاعجاز في الوصف والتفصيل فرأينا ان نثبت منه هنا ما يناسب المقام. قال في كتاب الافادة والاعتبار ما نصه

"ومن ذلك الآثار التي بمصر القديمة وهذه المدينة بالجيزة فوق بنى الفسطاط وهي منفُ التي كان يسكنها الفراعنة وكانت مستقرّ مملكة ملوك مصر فهذه المدينة مع سعتها وتقادم عهدها وتداول الملل عليها واستيصال الامم اياها من تعفية آثارها ومحو رسومها ونقل حجارتها وآلاتها وافساد ابنيتها وتشويه صورها مضافًا الى ما فعلته فيها اربعة آلاف سنة فصاعدًا تجد فيها من العجائب ما يفوت فهم الفطن المتأمل ويحصر دون وصفه البليغ اللسن وكلما زدته تأملًا زادك عجبًا وكلما زدته نظرًا زادك طربًا ومهما استنبطت منه معنًى انباك بما هو اغرب ومهما استنبرت منه علمًا دلّك على ان وراءه ما هو اعظم

فمن ذلك البيت المسمّى بالبيت الاخضر وهو حجر واحد تسع اذرع ارتفاعًا في ثمان طولًا في سبع عرضًا قد حُفر في وسطه بيت قد جعل سمك حيطانه وسقفه وارضه ذراعين ذراعين والباقي فضاء البيت وجميعه ظاهرًا و باطنًا منقوش ومصوّر ومكتوب بالقلم القديم وعلى ظاهره صورة الشمس ما يلي مطلعها وصوَر كثيرة من الكواكب والافلاك وصوَر الناس والحيوان على اختلاف من النصبات والهيئات بين قائم وماشٍ وماذّ رجليه وصافها ومشمّر للخدمة وحامل الآلات والمشير بها. يبقى ظاهر الامر انه قصد بذلك محاكاة امور جليلة واعمال شريفة وهيئات فاضلة واشارات الى اسرار غامضة وانها لم تتخذ عبثًا ولم يستفرغ في صنعتها الوسع لمجرّد الزينة والحسن. وقد كان هذا البيت مكنًّا على قواعد من حجارة الصوان العظيمة الوثيقة فحفر تحتها الجهلة والحمقى طمعًا في المطالب فتغير وضعه وفسد هندامه واختلف مركز ثقله ونقل بعض على بعض فتصدع صدوعًا لطيفة يسيرة. وهذا البيت قد كان في هيكل عظيم مبني بحجارة عاتية جافية على اتقن هندام واحكم صنعة وفيها قواعد على عُمُد عظيمة وحجارة الهدم متواصلة في

جميع اقطار هذا الخراب . وقد بقي في بعضها حيطان مائلة بملك الحجارة الجافية . وفي بعضها اساس وفي بعضها اطلال ورأيت عند باب شاهقًا ركناهُ حجران فقط وأزجهُ حجر واحد قد سقط بين يديهِ . ونجد هذه الحجارة مع المبدأم المحكم والوضع المتقن قد حفر بين الحجرين منها نحو شبر في ارتفاع اصبعين وفيهِ صدأ النحاس وزنجرتهُ فعلمت ان ذلك قيود لحجارة البناء وتوثيق لها ورباطات بينها بأن تجعل بين الحجرين ثم يصب عليهِ الرصاص وقد تبعها الانذال والحدودون فقلعوا منها ما شاء الله تعالى وكسروا لاجلها كثيرًا من الحجارة حتى يصلوا اليها ولعمر الله لقد بذلوا الجهد في استخلاصها وابانوا عن تمكن من اللؤم وتوغل في الخساسة

واما الاصنام وكثرة عددها وعظم صورها فامرٌ يفوت الوصف ويتجاوز التقدير . واما اتقان أشكالها واحكام هيئاتها والحاكاة بها الامور الطبيعية فموضع التعجب بالحقيقة . فمن ذلك صنم ذرعناهُ سوى قاعدتهِ فكان تسعًا وثلثين ذراعًا وكان مداهُ من جهة اليمين الى اليسار نحو عشر اذرع . ومن جهة الخلف الى الامام على تلك النسبة وهو حجر واحد من الصوان الاحمر وعليهِ من الدهان الاحمر كأنهُ لم يزدهُ تقادم الايام الاَّ جدةً . والعجب كل العجب كيف حفظ فيهِ مع عظمهِ النظام الطبيعي والتناسب الحقيقي وانت تعلم ان كل واحد من الاعضاء الآلية المتشابهة لهُ في نفسهِ مقدار ما ولهُ الى سائر الاعضاء نسبة ما بذلك المقدار وبتلك النسبة يحصل حسن الهيئة وملاحة الصورة فان اختل شيءٌ من ذلك حدث من القبح بمقدار الخلل . وقد أحكم في هذه الاصنام هذا النظام احكامًا اي احكام فمن ذلك مقادير الاعضاء في نفسها ثم نسب بعضها الى بعض

فانك ترى الصنم قد ينتدئ بانفصال صدرهِ عن عنقهِ عند الترقوة بتناسب بليغ ثم تأخذ الصدر في ارتفاع الترايب الى الثندوتين فيرتفعان عمَّا دونهما ويفرزان عن سائر الصدر بنسبة عجيبة ثم يعلوان الى حد الحلمة ثم تصور الحلمة مناسبة لتلك الصورة الهائلة ثم تنحدر الى الموضع المطمئن وفرجة الزور وزور القلب والى تجعيد الاضلاع والتوائها كما هو موجود في الحيوان الحقيقي . ثم تنحدر الى مغاط الاضلاع ومراق البطن والتواء العصب وعضل البطن يمينًا وشمالاً وتوترها وارتفاعها وانخفاض ما دون السرة مما يلي الاقراب ثم تحقيق السرة وتوتر العضل حولها ثم الانحدار الى الثنة والحالبين وعروق الحالب والخروج منهُ الى عظمي الوركين وكذلك تجد انفصال الكتف واتصالهُ بالعضد ثم بالساعد وانتقال جل الذراع والكوع والكرسوع وابرة المرفق ونهري منصل الساعد من العضد وعضل الساعد ورطوبة اللحم وتوتر العصب وغير ذلك مما يطول شرحهُ . وقد صور كف بعضها قابضًا يد على عمود قطرهُ شبر كأنهُ كتاب وصورت

الفصوص والاساريد التي تحدث في جادة الكف ما بلي المختصر عند ما يقبض الانسان كفه . ولما حسن اوجهها وتناسبها نعلى اكمل ما في اكمل ما في القوى البشرية ان تفعله واتم ما في المواد الحجرية ان تقبله ولم يبقَ الاَّ صورة اللحم والدم . . .

وهذه الاصنام مع كثرتها قد تركتها الايام الاَّ الاقل منها جذاذًا وغادرتها ارمامًا ولقد شاهدت كثيرًا منها وقد نحت من ضلعتو رحًى قطرها ذراعان ولم يظهر في صورتو كبير تشويهٍ ولا تغيُّر بيّن ورأيت صنمًا وبين رجليهِ صنم متصل بهِ صغير كانهُ مولود بالقياس اليهِ وهو مع ذلك كاعظم رجل يكون وعليهِ من الملاحة والجمال ما يشوق الناظر اليهِ ولا يمل من ملاحظتهِ

وما زالت الملوك تراعي بقاء هذه الآثار وتمنع من العيث فيها والعبث بها وان كانوا اعداء لها وكانوا يفعلون ذلك لمصالح منها لتبقى تاريخًا ينتبه بها على الاحقاب ومنها انها تكون شاهدة لكتب المنزلة فان القرآن العظيم ذكرها وذكر اهلها ففي رؤيتها خُبْر الخبر وتصديق الاثر ومنها انها مذكرة بالمصير ومنبهة على المآل ومنها انها تدل على شيءٍ من احوال من سلف وسيرتهم وعلومهم وصناعاتهم فكرهم وغير ذلك وهذا كلهُ مما تشتاق النفس الى معرفتهِ وتؤثر الاطلاع عليهِ . واما في زمننا هذا فترك الناس سدًى وسرحوا هملًا وفوضت اليهم شؤونهم فتحركوا بحسب اهوائهم وجروا نحو ظنونهم واطماعهم وعمل كل امرءٍ منهم على شاكلتهِ وبموجب سجيتهِ وبحسب ما تسوّل لهُ نفسهُ ويدعو اليهِ هواهُ فلما رأوا آثارًا هائلة راعهم منظرها وظنوا ظن السوء بمخابرها وكان جل انصراف ظنونهم الى معشوقهم واجل الاشياء في قلوبهم وهو الدينار والدرهم فهم كما قيل

وكل شيءٍ رآهُ ظنهُ قدحًا وان رأى ظلَّ شخصٍ ظنهُ الساقي

فهم يحسبون كل علم يلوح لهم انهُ علم على مطلب وكل شق منظور في جبل انهُ يفضي الى كنز وكل صنم عظيم انهُ حاصل المال تحت قدميهِ وهو مهلك عليهِ فصاروا يعملون الحيلة في تخريبهِ ويبالغون في تهديمهِ ويفسدون صور الاصنام افساد من يرجو عندها المال ويخاف منها التلف وينقبون الاحجار نقب من لا يتمارى انها صناديق مقفلة على ذخائر ويسربون في قطور الجبال سروب متلصص قد اتى البيوت من غير ابوابها وانتهز فرصة لم يشعر غيرهُ بها . ومما يقوي اطماعهم ويديم اصرارهم انهم يجدون نواويس تحت الارض فسيحة الارجاء محكمة البناء وفيها من موتى القدماء الجم الغفير والعدد الكثير قد لفوا باكفان من ثياب القز لعلهُ يكون على الميت منها زهاء الف ذراع وقد كفن كل عضو على انفراد كاليد والرجل والاصبع في قط دقاق ثم بعد ذلك تلف جثة الميت جملة حتى يرجع كالحمل العظيم . ومن كان يتتبع هذه النواويس من الاعراب

واهل الريف وغيرهم يأخذ هذه الاكفان فما وجد فيهِ تماسكًا اتخذهُ ثيابًا او باعهُ للورّاقين يعملون منهُ ورق القطارين . ويوجد بعض موتاهم في توابيت من خشب الجميز تُخرن ويوجد بعضهم في نواويس من حجارة . وهؤلاء الموتى قد يوجد على جباههم وعيونهم وانوفهم ورق من الذهب كالقشر وربما وجد قشر من الذهب على جميع الميت كالغشاء وربما وجد عندهُ شيء من الذهب والحلى والجوهر وربما وجد عندهُ آلته التي كان يزاول بها العمل في حياته

ورأيتُ اسدين متقابلين بينهما امثلٌ قريب وصورهما هائلة جدًّا وقد حُفظ فيهما النظام الطبيعي والتناسب الحيواني مع كونهما اعظم جثة من الحيوان الحقيقي جدًّا جدًّا وقد تكسرا وردما بالتراب . ووجدنا من سور المدينة قطعةً صالحةً مبنيَّةً بالحجارة الصغار والطوب وهذا الطوب كبيرٌ جافٍ مطاول الشكل ومقدارهُ نصف الآجر الكسروي بالعراق كما ان طوب مصر اليوم نصف آجر العراق اليوم ايضًا " انتهى كلام عبد اللطيف . وبهِ نختم الكلام عن منف الغابرة

النبذة الثانية . في منف الحاضرة

آثارهم في الارض تخبرنا بهم والكتبُ في سيرٍ لنصَّ صحاح

ما من مدينة من المدن العظيمة تقوّض منارها وعفت آثارها مثل مدينة منف . فقد بقي من مدينة طيبة (تيبس) اربعة هياكل عظيمة . ومن مدينتي بابل ونينوى اكام كثيرة فيها ما لا يقدَّر من الآثار . واورشليم واثينا ورومية كلٌّ منهنَّ في مرتبتها الاول ولو لم تكن في عظمتها الاولى . واما منف فلم يبق منها حصن ولا هيكل ولا قصر ولا بيت ولا جدار . فقد صبرت على نوائب الدهر ستة آلاف سنة ولما فرغ منها الصبر طرحت لهُ سلاحها فلم يبقِ من آثارها الاَّ النزر القليل كما سيجيء . ولكن ان كانت منازل الاحياء قد خربت فمواطن الاموات لم تزل عامرة في صخور الارض او شامخة في عنان السماء وهي اعظم ما صنعهُ البشر في كل زمان ومكان . فاي قبر من قبور الناس يضاهي الاهرام واي مدفن اعظم من المدافن التي بجوارها . فان كان الدهر قد جار على هذه المدينة بتخريب منازلها الفانية فقد انصفها ببقاء مواطنها الباقية . وقد سبق المصريون فادركوا ذلك لانهم كانوا يسمون بيوتهم منازل السفر وقبورهم مواطن البقاء ويعتنون بالثانية كما يعتنون بالاولى واكثر . واذ قد تمهد ذلك نصف للقارىء ما يراهُ الآن من آثار منف في منازلها ومواطنها

اذا اردت ان ترى ما يقصدهُ السياح من اقاصي الارض فقم في الصباح من القاهرة الى بولاق الدكرور واركب منها قطار السكة الحديدية الذاهب الى الصعيد وروّح النفس برؤية

الحقول وأجام النخيل الى ان تصل الى المحطة الثالثة محطة البدرشين في نحو نصف ساعة من الزمان ثم اطلب اهرام سقارة فتمر في طريقك على قرية صغيرة بيوتها من التراب لا شيء ابعد عن الحنيفة منها عن مدينة منف الغابرة . ولكن هذه هي قرية ميت رهينة القائمة في قلب مدينة منف وتجد بجانبها آكاماً بقي النخيل منها فخرت جذوره ما في جوفها من آثار الاولين ان كان ثمة آثار . وفيما انت سائر وتخبر من انطاس الآثار التي شاهدها عبد اللطيف منذ اقل من سبع مئة سنة تجد عن يمينك تمثالاً عظيماً من المرمر الاحمر من التماثيل التي رآها عبد اللطيف وقد صرعته نوائب الدهر فرمت تاجهُ عن رأسهِ وكسرت انفهُ وساقيهِ . وجهد ما بلغ اليهِ اهل النقب الآن انهم رفعوهُ عن الارض قليلاً وبنوا تحتهُ مساند من الحجارة وسندوهُ عليها نائماً على ظهرهِ كأنهُ ميت في جنازة وتاجهُ مطروح بجانبهِ معفر بالتراب . فانظر اليهِ ملياً واعجب من دقة صنعتهِ وتناسب اعضائهِ مع ضخامتهِ ولا تنسَ انهُ من الصوان الاحمر الذي تعجز الآلات عن قطعهِ ولا يصقل هذا الصقال البديع الاَّ بالسنباذج او بسحوق الماس . ثم سر في طريقك قليلاً فترى بيتاً من الطين محكم البنيان فادخلهُ واصعد على السلم الذي فيهِ تجد نفسك امام تمثال آخر من الحجر الابيض الاصم لم تستطع نوائب الدهر الاَّ على صرعهِ وتكسير ساقيهِ . تأمل فيهِ ما شئت فانك كلما زدتهُ تأملاً زادك دهشةً . وكان مع هذا التمثال تمثال آخر مثلهُ ولكن لم يوقف لهُ على اثر والظاهر ان بعض الحمقى قطعوهُ وشووهُ كلسًا (جيرًا) والارجح ان هذا التمثال واخاهُ المفقود هما التمثالان اللذان ذكرهما هيرودوتس وديودورس وقالا ان سيسوستريس اي رعمسيس الثاني اقامهما امام هيكل فتاه وان ارتفاع كلٍّ منهما ثلاثون ذراعًا اي نحو خمسين قدمًا انكليزية لان طول هذا التمثال من قمة تاجهِ الى اصابع رجليهِ لو فرض وجودها ثلاثون ذراعًا مصرية . وفي عنقهِ قلادة فيها اسمهُ بين صورة فتاه وصورة زوجهِ تحت وفي يدهِ درج ملفوف وعليهِ اسمهُ ايضاً وهو "امن مر رعمسيس" وبجانبهِ صورة بنت من بناتهِ ولكنها لا تبلغ ركبتهُ . وقد اكتُشف هذا التمثال سنة ١٨٢٠ واهداهُ كبير العائلة العلوية محمد علي باشا للحكومة الانكليزية وسننقلهُ الى بلادها يوماً ما كما نقلت غيرهُ من الآثار العظيمة وخارج البيت المذكور نصبٌ عظيم عليهِ كتابات كثيرة بالقلم المصري القديم المعروف بالهيروغليف وهذا كل ما نشاهدهُ من آثار منف ومن عظمتها

فاذا تمليت من مشاهدة هذه التماثيل فتوَّم طريقك غربًا الى قرية سقارة ودُر الى الشمال الغربي وصعِّد بين كثبان الرمال ولكن

خفِّف الوطء فما اظنُّ اديـــمَ الارض الاَّ من هذه الاجسادِ
وقبيحٌ بنا وان قدُمَ العهـــدُ هوانُ الاباء والاجدادِ

فانك تسير فوق رفات العلماء والحكماء والشرفاء والعظماء والكهان والمهندسين والنقاشين والمصورين ومنصورات المحال وربات الغنج والدلال. فنمرُّ اولاً على الهرم المدرَّج احد اهرام سقارة الاحد عشر وهو درجات خمس منصاغرة علوهُ الآن نحو ١٩٠ قدماً واضلاع قاعدتهِ غير متساوية اطولها ٢٩٤ واقصرها ٢٥١ قدماً وكان المظنون انهُ اقدم اهرام مصر كلها ولكن المرجَّح الآن ان الهرَم الاكبر اقدمها ثم تليهُ قدميتها من الشمال الى الجنوب . وفي هذا الهرم من الاسراب والغرف شيء كثير لم نشاهدهُ فلا نتعرض لوصفهِ . ونأتي بعد الهرم المدرَّج الى مدافن الثيران المقدسة المعروفة بالسرابيوم وهذه المدافن اكتشفها الشهير مريت سنة ١٨٦٠ و ١٨٦١ والطريق المؤدي اليها يمتدُّ من البيت الحديث الذي كان مريت ساكنًا فيهِ وعلى جانبي هذا الطريق سطران من التماثيل التي لها بدن اسد ورأس انسان وهي المعروفة بالسفنكس وقد عادت الرمال فطمرتها حتى لم نرَ شيئًا منها . ولا بدَّ من اضاءة الشموع واتباع الدليل في دخول السرابيوم وهو اسراب طويلة منقورة في الصخر وعلى جانبي كل سرب منها غرف متوالية في كل غرفة منها ناووس عظيم من الصوَّان المعروف بالغرانيت طولهُ نحو ثلاث عشرة قدماً وعرضهُ ثماني اقدام وارتفاعهُ احدى عشرة قدماً وسمك جدرانهِ قدم فاكثر . وكثير من هذه النواويس مغطًّى بالنقوش بالقلم المصري القديم وجدرانهُ في ما سوى ذلك ملساء صقيلة كأنها من الزجاج المصقول . والنواويس كلها مغطاة باغطية من نوعها وثقل كل ناووس منها نحو خمسين الف اقة اي نحو الف وخمس مئة قنطار مصري . وانت تعلم انها مقطوعة من مقالع اسوان فالعجب من قطعها بل من تقرها بل من نقشها بل من نقلها بل من تحمُّل كل هذه المشاق لاجل دفن ثور من الثيران ولكن الانسان لا يقدِّر نعيمًا في الحياة الدنيا اذا طمع بثواب الآخرة

والارض من اهرام الجيزة الى اهرام دشور مملوءة بمدافن منف ولكن المفتوح منها الآن بقرب اهرام سقارة اثنان قبر تيه وقبر فتاه هوتب والكلام في وصفها يطول وقد ضاق المقام فنرجئهُ الى الجزء التالي

الوان الاصوات واصوات الالوان

اوردنا في المجلد الثامن من المقتطف صفحة ١٥٢ مقالةً عنوانها "ائتلاف الالوان والاصوات" ذكرنا فيها ان بعض الناس لا يسمع صوتًا الَّا رأى معهُ لونًا فيرى مع هذه اللفظة لونًا احمر ومع تلك لونًا اخضر ومع هذه النغمة لونًا ازرق ومع تلك لونًا اخضر . واتينا ثمَّة على ذكر